

الْحِصَانُ وَصَبِيَّهُ

كانت مفاجأةً عظيمةً لشصطى أن يكتشف أنه ليس ابن أرشيش الصياد. لكن حين أخذه بري، الحصان الناطق، بعيداً عن أرض كالورمين القاسية بحثاً عن أرض نارنيا الآمنة والسعيدة، حيث يحكم الملك الأعلى بطرس، وجد شصطى نفسه مغموراً بالأسرار والغموض والمغامرات بشكلٍ لم يكن يحلم به.

تمتلئ رحلتهم بالخوف والخطر والمكائد والمغامرات، فيما كانوا يشقون طريقهم متخفين في مدينة طشبان، مارّين بالقبور الغريبة المخيفة، ثمّ أياماً مُحْرِقَةً وليالي باردةً في الصحراء القاسية إلى جبال بلاد آرخيا العالية. وحتى حين تلوح نارنيا بالأفق، يدرك شصطى أن عليه أن يهزم خوفه في النهاية. قال لنفسه: «إن دُعِرَت من هذه المعركة وفررت، فسوف تخشى كلّ معركةٍ أخرى طول عمرك. فالآن، وإلا فلا إلى الأبد!»

هذه هي المغامرة الشيقة الثالثة في
عالم نارنيا.
Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

روايات عالم نارنيا

الكتاب الأول
ابن أخت الساحر

الكتاب الثاني
الأسد والساحرة وخزانة الملابس

الكتاب الثالث
الحصان وصبيّه

الكتاب الرابع
الأمير كاسبيان

الكتاب الخامس
رحلة جَوَابَة الفجر

الكتاب السادس

الكرسي الفضي

الكتاب السابع

المعركة الأخيرة

Copyrighted Material

Ophir Printers & Publishers

الْحِصَانُ وَصَبِيَّه

سي أس لويس
رسوم: پولين بينز

ترجمة: سعيد باز

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers



The Horse and His Boy Copyright © CS Lewis Pte Ltd. 1954
Inside illustrations by Pauline Baynes, copyright © CS Lewis
Pte Ltd. 1955 1950 1954 1951 1952 1953 1956
Cover art by Cliff Nielsen, copyright © CS Lewis Pte Ltd. 2002

The Chronicles of Narnia ®, Narnia ® and all book titles,
characters and locales original to The Chronicles of Narnia,
are trademarks of CS Lewis Pte Ltd. Use without permission
is strictly prohibited.

Published by Jongbloed bv (Ophir – Middle East) under
license from the CS Lewis Company Ltd. 2005
www.narnia.com

الحصان و صبيُّه
الطبعة العربية الاولى ٢٠٠٥
حقوق الطبع محفوظة

أوفير للطباعة و النشر
ص ب ٩٤١٩٤٧، ١١١٩٤ عمان، الأردن
هاتف ٦٥٦٦٥٧٦٨ +٩٦٢ فاكس: ٦٥٦٣٩٧٦٨ +٩٦٢
Email: info@ophir.com.jo

رقم الايداع: ٢٠٠٥/١٠/٢٤٧٩
90-5950-018-0 ISBN

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء
منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله، أو استنساخه
بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

مهدى إلى ديفيد ودوغلاس غريشام



Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

تعريف الشخصيات

أصلان: ملك الغابات وسيدها، ابن الإمبراطور في ما وراء البحر. إنه الأسد، الأسد العظيم. وهو يأتي ويذهب كيفما ومتى شاء، ويأتي لإطاحة الساحرة وإنقاذ نارنيا. ويظهر أصلان في الكتب السبعة كلها.

ديغوري كيرك: نقابل ديغوري من بداية «ابن أخت الساحر»، وهو مذكور أيضاً في «الأسد والساحرة وخزانة الملابس». ولولا شجاعة ديغوري، لربما لم نسمع بنارنيا قط. أما السبب فتجده في «ابن أخت الساحر».

پولي پلامر: وهي أول شخص يغادر عالمنا إلى نارنيا. وتشارك مع ديغوري في بداية كل شيء في «ابن أخت الساحر».

جاديس: آخر ملكات شارن التي دمرتها هي نفسها. تظهر جاديس مع ديغوري و پولي في «ابن أخت الساحر»، وقد استولت على البلاد في «الأسد والساحرة وخزانة الملابس». وفضلاً عن كونها شريرةً كلياً، فهي خطيرة جداً أيضاً، حتى في «الكرسيّ الفضيّ».

الحخال أندرو: يعتقد السيّد أندرو كترلي أنّه ساحر. ولكنه مثل جميع الذين يعبثون بأمر السحر لا يعرف بالحقيقة ما يفعله. وتأتي النتائج رهيبه في «ابن أخت الساحر».

آل پيفنسي:

بطرس پيفنسي: الملك بطرس العظيم، الملك الأعلى

سوزان پيفنسي: الملكة سوزان الرقيقة

إدمون پيفنسي: الملك إدمون العادل

لوسي پيفنسي: الملكة لوسي الباسلة

هؤلاء الأربعة من آل پيفنسي، وهم أخوان وأختان، قدموا إلى نازنيا في زمان الشتاء الدائم إبان حكم الساحرة البيضاء، ومكثوا هناك سنين نازنيانية كثيرة، وأقاموا عصر نازنيا الذهبي. وبطرس هو الأكبر سنًا، تليه سوزان، ثم إدمون ولوسي. وهم جميعاً متواجدون في «الأسد والساحرة وخزانة الملابس»، وفي «الأمير كاسبيان». كذلك يظهر إدمون ولوسي أيضاً في «رحلة جؤابة الفجر»، كما يظهر إدمون ولوسي وسوزان في «الحصان وصبيته»، فيما يظهر بطرس وإدمون ولوسي في «المعركة الأخيرة».

شصطي: يحيطُ سرٌّ بهذا الولد الذي تبناه صياد سمكٍ من

كالورمن. فهو ليس الشخص الذي يبدو أنه هو، مثلما

يكشف هو نفسه في «الحصان وصبيه».

بري: هذا الجواد الحربي أيضاً فائقٌ للعادي. فقد

اختطف وهو مُهْرٌ من غابات نازنيا، ويبيع حصاناً عبداً

في كالورمن، وهو بلدٌ واقعٌ وراء بلا آر حيا وفي أقصى

جنوبي نازنيا. وتبدأ مغامرات بري عندما يحاول

الفرار في «الحصان وصبيته».

أراقيس: هي طرْقانة، نبيلةٌ من كالورمين. إلا أنّ فيها مزايا خيرةٌ كثيرة تبرز إلى النور في «الحصان وصبيّه». هُوَيْن: فرسٌ حسّاسةٌ حسنة الطباع، تتصادق مع أراقيس في «الحصان وصبيّه».

الأمير كاسبيان: إنه ابن أخي الملك ميراز، ويُعرّف بلقب كاسبيان العاشر ابن كاسبيان، وهو ملك نارنيا الحقيقي (ملك النازنانيين القدامى). كذلك يُعرّف بألقاب «تلماري نارنيا»، و«سيد كيريرا فيل»، و«إمبراطور الجُزُر المنفردة». وهو يظهر في «الأمير كاسبيان»، و«رحلة جوابة الفجر»، و«الكرسيّ الفضيّ»، و«المعركة الأخيرة».

ميراز: هو تلماريّ من بلاد تلمار الواقعة بعيداً ما وراء الجبال الغربية (وأجداد التلماريّين أصلاً كانوا من عالمنا). وميراز هو مغتصب عرش نارنيا في «الأمير كاسبيان».

ريبيتشيب: هو الفأر الرئيس. وهو الخادم المتواضع المتطوّع لخدمة الأمير كاسبيان، ولعله أكثر الفرسان بسالةً في نارنيا كلّها. فروسيّته لا تُداني، وكذلك شجاعته ومهارته في استعمال السيف. ويظهر ريبيتشيب في «الأمير كاسبيان»، و«رحلة جوابة الفجر»، و«المعركة الأخيرة».

يُسطاس كلارنس (صغرون): يُسطاس ابن خالة لأولاد آل پيفنسي، يُضطر إدمون ولوسي أن يذهبا ويوزورا. إلاّ أنه يجد نارنيا أشبه بصدمية. وهو يظهر في «رحلة جوابة الفجر»، و«الكرسيّ الفضيّ»، و«المعركة الأخيرة».

جلّ پُول: هي البطلة في «الكرسي الفضّي»، تذهب إلى نارنيا مع يُسطاس في مغامرته النازنيائية الثانية. وهي تأتي أيضاً لنجدة نارنيا في «المعركة الأخيرة».

الأمير ريليان: ابن الملك كاسبين العاشر. وهو الأمير الضائع في نارنيا. فابحث عنه وجده في «الكرسي الفضّي».

بركهموم: ساكن مُستنقعات (سباخ) طويل القامة، من المُستنقعات الشرقية في نارنيا. شخص طويل يشكّل سلوكه الرزين جداً قناعاً لقلبه الصادق الوافر الشجاعة. يظهر في «الكرسي الفضّي»، و«المعركة الأخيرة».

الملك تريان: رجلٌ نبيلٌ وشجاع، آخر ملوك نارنيا. هو وصديقه «جوهر»، أحادي القرن، يخوضان القتال معاً في «المعركة الأخيرة».

شِفطة: قردٌ عجوز وقبيح، ينوي أن يتولّى حكم نارنيا، ويباشر أموراً لا يستطيع إيقافها في «المعركة الأخيرة».

لَغزان: حمارٌ طيبٌ لم ينو قطُّ إيذاء أحد. غير أنه ليس ذكياً جداً. وهو يقع ضحيةً لخداع شِفطة في «المعركة الأخيرة».

المحتويات

١—
١٥ كيف انطلق شَصْطَى في تجواله

٢—
٣٢ مغامرة على جانب الطريق

٣—
٥٠ عند أبواب طَشبان

٤—
٦٥ شَصْطَى يُصَادِفُ أَهْلَ نارنيا ويرافقهم

٥—
٨١ الأمير كورين

٦—
٩٦ شَصْطَى بين القبور

٧—
١٠٩ أراقيس في طَشبان

٨—
١٢٤ في دار السُّلطان

٩—
١٣٧ عبْرَ الصحراء

Copyrighted Material

Ophir Printers & Publishers

— ١٠ —

ناسيك الحدود الجنوبية ١٥٣

— ١١ —

رفيق الرحلة غير المتوقع ١٦٩

— ١٢ —

شصطي في نازنيا ١٨٥

— ١٣ —

معركة أنقارد ٢٠٠

— ١٤ —

كيف أصبح بري حصاناً أحكم ٢١٦

— ١٥ —

راباداش: أسخف الجحاش ٢٣١

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

كيف انطلق شصطي في تجواله

هذه قصّة مغامرة جرت أحداثها في بلاد نازنيا وكالورمين والبلدان الواقعة بينهما، في ذلك العصر الذهبي الذي فيه كان بطرس هو الملك الأعلى في نازنيا، وأخوه وأخته ملكاً ومليكتين معه وخاضعين له.

تلك الأيام، في أقصى الجنوب بكالورمين على خليج بحري صغير، عاش صياد سمك فقير اسمه أرشيش، وعاش معه صبي يدعوه أباه، وكان اسم الصبي شصطي. وفي أغلب الأيام، كان أرشيش يخرج في قاربه لصيد السمك صباحاً، ثم في عصر النهار يشدُّ إلى حماره عربةً محمّلة بالسمك، ويمضي جنوباً مسافةً تُراوح بين كيلومتر وكيلومترين إلى القرية كي يبيع السمك. فإذا وُفق في بيعه، يرجع إلى بيته بمزاج طيب نوعاً ما، ولا يقول لشصطي شيئاً، ولكن إذا لم يوفق، كان ينتقده ويعيبه، وربما ضربه أيضاً. وكان مجال الانتقاد واللوم واسعاً دائماً، إذ كان على شصطي أن يقوم بكثير من الأعمال، كإصلاح الشباك وغسلها، وطبخ العشاء، وتنظيف الكوخ الذي يسكنان فيه.

ولم يكن شصطى قط مهتماً بأيّ شيءٍ يقع جنوبيّ بيته، لأنّه ذهب إلى القرية مع أرشيش مرّةً أو مرّتين، وعرف أنّ ليس فيها ما يعجبه كثيراً. فهو إنّما التقى في القرية رجالاً مثل أبيه تماماً، رجالاً يلبسون أرواباً طويلة وسخة، وأحذية خشبيّة رؤوسها معقوفة إلى فوق، وعلى رؤوسهم عمائم، ولحاهم طويلة، يحدثون بعضهم بعضاً بكلّ تمهّل عن أمورٍ بدت تافهة. ولكنّ شصطى كان مهتماً كثيراً بكلّ ما يقع إلى الشمال، لأنّه لم يذهب أحد قطّ إلى تلك الجهة، وهو نفسه لم يكن مسموحاً له أن يذهب إلى هناك. فكان إذا قعد وحده خارج الكوخ يُصليح الشباك، غالباً ما يتطلّع إلى جهة الشمال متشوّقاً. فلا يمكن للمرء أن يرى سوى مُنحدر يكسوه العشب ويتّصل أعلاه بسلسلة جبال مستوية، ووراءه الفضاء الذي ربّما مرّت فيه بعض الطيور.

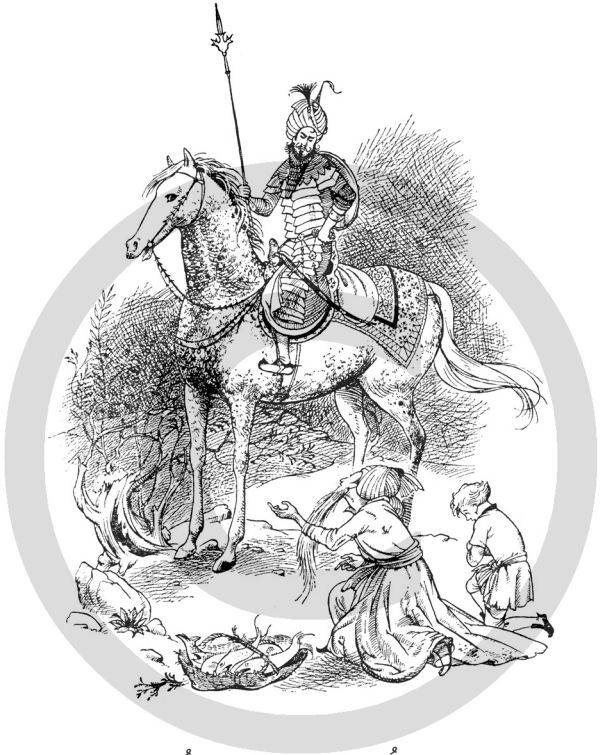
وأحياناً، إذا كان أرشيش حاضراً، كان شصطى يقول له: «يا أبي، ماذا وراء الجبل؟» فإن كان صياد السمك سيّء المزاج، يشدُّ أذنيّ شصطى ويطلب منه أن يهتمّ بشغله. وإذا كان مزاجه رائقاً، يقول: «يا بُنيّ، لا تشغل فكرك عبثاً بالأسئلة التافهة. فقد قال أحد الشعراء إنّ الانصراف إلى العمل باجتهاد هو سرُّ النجاح، أمّا الذين يطرحون أسئلة لا تعنيهم فإنّهم يوجّهون سفينة الحماسة نحو صخرة الفقر».

وقد خمّن شصطى أن يكون وراء الجبل سرٌّ بهيجٌ

ما، رغب أبوه في إخفائه عنه. إلا أن الصياد بالحقيقة كان يقول مثل ذلك الكلام لأنه لا يعرف ما يقع إلى جهة الشمال. ولم يكن ذلك يهمله أيضاً، فقد كان صاحب عقل عملي يهتم بالواقع.

وذات يوم جاء من الجنوب غريبٌ يختلف عن أيّ رجلٍ آخر رآه شصطى من قبل. كان راكباً على حصانٍ مُنقَط قويٍّ، يتطاير شعرُ عُرفه وذيله، وركاباه ولجامه مُغشاةً بالفضة. وكانت على رأسه عمامةٌ حريريّة تبرز من وسطها رزةٌ خوذة، كما كان يلبس قميصاً من الزرد. وقد تدلّى من خصره سيفٌ معقوف، وتعلّق على ظهره ترسٌ مدوّر عليه عُقد من نحاس، وكانت يمينه تمسك رمحاً. وقد كان وجهه قائماً، ولكن ذلك لم يُفاجيء شصطى لأنّ هذا هو لون بشرة أهل كالورمين كلهم. أمّا ما فاجأه فعلاً فقد كان لحية الرجل المصبوغة باللون القرمزيّ، والمجعدّة، والبراقة بسبب الزيت المعطر. غير أنّ أرشيش عرف من الذهب حول ذراع الغريب العارية أنّه طرّقان، أو سيّدٌ عظيم، فانحنى راكعاً أمامه حتى مسّت لحيته الأرض، وأوماً إلى شصطى أن يركع أيضاً.

وطلب الغريب أن يحلّ ضيفاً على أرشيش تلك الليلة؛ الأمر الذي لم يتجرأ الصياد على أن يرفضه طبعاً. ثمّ وضع أرشيش وشصطى أمام الطرّقان أفضل ما عندهما حتّى يتعشّى (وهو رأى ذلك أمراً لا يليق به). أمّا شصطى - كما كان يجري دائماً عندما يكون بصحبة



الصياد أحد- فقد أُعطي كسرة خبز وأُخرج من الكوخ.
وفي مثل تلك المناسبات كان ينام عادةً بقرب الحمار في
إسطبل القش الصغير. إلا أن الوقت كان أبكر بكثير من
أن ينام. ولما لم يكن قط قد تعلم أن من الخطأ استراق
السمع من وراء الأبواب، فإنه قعد وأذنه إلى شق في حائط
الكوخ الخشبي حتى يتسمع حديث الرجلين الراشدين.
وهاك ما سمعه:

قال الطَّرْقَان: «والآن، يا مُضَيِّفِي الكَرِيم، لي رغبة بأن
أشتري ذلك الصبيّ الذي عندك».

فأجاب الصيَّاد (وقد تصوَّر شصطى من لهجة تملَّقه
علامات الجشع على وجهه): «أه يا سيِّدي، أيُّ ثمن
يمكن أن يُغرِّبني، أنا خادِمُكَ، رُغم فقري، بأن أبيع ولدي
الوحيد، لحمي ودمي، عبداً؟ أما قال أحد الشعراء إنَّ
العاطفة الطبيعيَّة أقوى من الحامض الحارق، والأولاد
أغلى من الجواهر؟»

فقال الضيف ببرودة: «هي كذلك! ولكنَّ شاعراً آخر
قال أيضاً إنَّ من يحاول خداع الحكيم فإنَّما يكشف ظهره
للسوط. فلا تُثقل فمك المُسنَّ بالأباطيل. من الواضح
أنَّ هذا الصبيّ ليس ابناً لك، لأنَّ خدَّكَ أسود كخدِّي،
أمَّا الصبيُّ فأشقر وأبيض مثل الأجنبيِّين الملاعين لكن
الوُسماء، أولئك الذين يسكنون في أقصى الشمال».

أجاب الصيَّاد: «ما أحسن ما قيل من أنَّ ضربة
السيف يمكن أن يردَّها الترس، ولكنَّ عين الحكمة تخترق
كلَّ دفاع! فهلاً تعلم، يا ضيفي العظيم، أنَّني بسبب فقري
الشديد لم أتزوَّج قطَّ، ولم أنجب أيَّ ولد. ولكنَّ في السنة
التي فيها باشر سُلطاننا (عاش إلى الأبد!) حكمه الجليل
والخَيْر، في ليلة كان القمر فيها بدرًا، سرَّ الآلهة أن تحرمي
النوم. فقمْتُ من فراشي في هذا الكوخ، وانطلقتُ إلى
الشاطيء لأنعش نفسي بتأمل المياه والقمر وتنشقَّ الهواء
البارد. وما لبثتُ أن سمعتُ حساً كحسِّ المجاذيف آتياً

فوق المياه صوبي، ثم طرقت أذنيّ - إن أحسنت التعبير -
صرخات بكاءً ضعيف. وبعد ذلك بقليل، حمل مدّ الموج
إلى اليابسة قارباً صغيراً لم يكن فيه إلا رجلٌ برى جسمه
الجوعُ الشديد والعطش اللاهب، وقد بدا لي أنه مات منذ
لحظات قليلة (إذ كان ما يزال ساخناً)، وقربةٌ ماء فارغة،
وولدٌ ما زال حياً. فقلتُ في نفسي: لا شك أن هذين
التعسين قد نَحيا من تحطُّم سفينة ضخمة، ولكن بتقدير
عجيب من الآلهة جوعَ الكبير نفسه ليُبقِيَ الصغير على
قيد الحياة، ثم قضى نحبّه عند رؤية البرّ. وعلى ذلك،
إذا تذكّرتُ كيف لا تُقصر الآلهة أبداً في مكافأة الذين
يعطفون على المُعوزين، وإذ تحرّك قلبي شفقةً (فإنّي - أنا
خادمك - رجل رقيق القلب)...

وهنا قاطعه الطرّقان قائلاً: «دعك من جميع هذا
الكلام المنمّق في امتداح ذاتك. يكفيني أن أعرف أنك
أخذت الولد، وقد أنهكته بالعمل الذي تُساوي قيمته
أكثر من عشرة أضعاف ثمن خبزه اليوميّ، كما يمكن أن
يُلاحظ أيُّ شخص! فالآن قل لي حالاً ما الثمن الذي
تطلبه فيه، لأنّي ضجرت من ثرثرتك».

فأجاب أرشيش: «أنت بنفسك قلت بحكمة إن شغل
الولد كان عندي ذا قيمة لا تُقدّر. فيجب النظر إلى هذا
بعين الاعتبار عند تحديد الثمن. لأنّني إذا بعْتُ الصبيّ
فعليّ بلا شكّ إمّا أن أشتريّ وإمّا أن أوظفَ غيره حتّى
يقوم بعمله».

قال الطرقان: «أدفع لك فيه خمسة عشر هلالاً».

فصاح أرشيش بصوت بين الأنين والصراخ: «خمسة عشر! خمسة عشر! ثمناً لسندي في آخرتي ولقرّة عيني؟ لا تضحك على لحيتي الشائبة، ولو كنت طرقاناً. فالسعر الذي أطلبه سبعون».

في تلك اللحظة، نهض شطى، ومضى ماشياً على رؤوس أصابع قدميه. فقد سمع كل ما أراه، إذ كثيراً ما كان يتسمع حين يتساوم رجال القرية، ويعرف كيف تتم صفقاتهم. فإنه تأكد من أن أرشيش سيقبل في النهاية أن يبيعه بثمن أكثر بكثير من خمسة عشر هلالاً، وأقل بكثير من سبعين، لكنه علم أن أرشيش والطرقان سيقضيان ساعات قبل التوصل إلى اتفاق.

إنما يجب ألا تتصور أن شطى شعر بمثل ما قد نشعر به أنا وأنت إذا سمعنا حالاً بالصدفة أبونا يتكلمان عن بيعنا عبداً. فمن جهة، كانت حياته بالفعل أفضل بقليل من العبودية، ورغم كل شيء فرّبما كان هذا الغريب النبيل الراكب على الحصان الكبير ألطف به من أرشيش. ومن جهة أخرى، غمرته قصة العثور عليه في قارب صغير بالتشويق وبإحساس من الراحة والتعزية. فلطالما كان منزعجاً لأنه - مهماً حاول - لم يقدر قط على أن يحب صياد السمك، وكان يعرف أن على الولد أن يحب أباه. وها قد بدا له الآن أنه ليس قريباً لأرشيش أبداً. فأزاح ذلك من فكره حملاً ثقيلاً، إذ فكر: «عجباً، ربّما كنت أيّ

شخص! ربّما كنت أنا نفسي ابن طَرَقان، أو ابن السُلطان
(عاش إلى الأبد!)، أو ابن إله من الآلهة!»

كان شصطى واقفاً في الهواء الطلق على المرجة الصغيرة
قدّام الكوخ وهو يفكر هذه الأفكار. وكان احمرار الأفق
عند المساء يشتدّ ويخالطه السواد، وكانت نجمة قد طلعت
أو نجمتان، إلا أن أطياف الغروب كانت ما تزال تُرى في
الغرب. وعلى مسافة قريبة، كان حصان الغريب يرمى
العشب وهو مربوط بحبلٍ طويل بحلقة حديدية مغروزة
في حائط إسطلب الحمار. فمشى شصطى إليه على مهل
وربّت ظهره. ولكنه ظلّ يقضم الحشيش دون أن يعنيه أمر
شصطى بشيء.

ثمّ خطرت على بال شصطى فكرة أُخرى، فقال
بصوت عالٍ: «تُرى، أيُّ نوع من الرجال هو ذلك
الطَرَقان. سيكون أمراً عظيماً إذا كان لطيفاً، فبعض
العبيد في بيوت بعض السادة العظام لا يكادون
يشتغلون شيئاً. إنهم يلبسون ثياباً جميلة ويأكلون لحماً
كلّ يوم. وربّما يصطحبني إلى الحرب فأنقذ حياتي في
معركة من المعارك، وعندئذٍ يُحرّرني ويتبنّاني ويعطيني
قصرًا ومركبة ودرعاً حماية لكل الجسم. لكنه أيضاً
قد يكون رجلاً قاسياً ظالماً. فقد بيعتني إلى العمل في
الحقول مقيداً بالسلاسل. يا ليتني أعرف حقيقته!
وكيف لي أن أعرف؟ مؤكّد أن هذا الحصان يعرف،
فحبّذا لو يقدر أن يقول لي!»

وكان الحصان قد رفع رأسه. فمرّر شصطى يده على أنفه الناعم مثل الحرير، قائلاً: «كم أتمنى لو تقدر أن تنطق يا صاحبي!»

ثم خيّل إليه ثانيةً واحدةً أنه يحلم، لأنّ الحصان - بكلّ وضوح وإن كان بصوت منخفض - قال: «ولكنني أقدر». فحدّق شصطى إلى عينيّ الحصان الواسعتين، وكادت عيناه هو تصيران واسعتين مثلهما، وقد استولت عليه الدهشة، وقال:

«كيف تعلّمت أن تتكلّم يا ترى؟»

فأجابه الحصان: «صه! اخفض صوتك. في بلادي، جميع الحيوانات تقريباً تتكلّم».

فسأل شصطى: «وأين بلادك يا ترى؟»

قال الحصان: «بلادي هي نارنيا، بلاد نارنيا السعيدة: نارنيا المكسوّة جبالها بالخلنج وتلالها بالزعر، نارنيا ذات الأنهار الكثيرة والأودية المتدفّقة بالشلالات، والكهوف المغشّاة بالطحالب، والغابات الكثيفة التي تتردّد فيها أصدااء ضربات مطارق الأزام وفؤوسهم. وما أحلى هواء نارنيا المنعش! فإنّ ساعةً واحدةً من الحياة هناك خيرٌ من ألف سنة في كالورمين». وقد أنهى كلامه بصهيل بدا شبيهاً بالأين.

فسأله شصطى: «وكيف وصلت إلى هنا؟»

قال: «خُطِفْتُ، أو سُرِقْتُ، أو أُسِرْتُ... أيّاً شئت أن تُسمّي ذلك. آنذاك كنتُ مجرد مُهر. وقد حدّرتني أمّي

من التجوال عبر المنحدرات الجنوبية إلى داخل بلاد أرخيا وما وراءها، إلا أنني لم أستمع لها. وقسماً برأس الأسد، لقد دفعتُ ثمن حماقتي. فطوال هذه السنين ما زلتُ عبداً للبشر، ساتراً طبيعتي الحقيقية وامتظاهراً بأنِّي أحرص وأبله مثل أحصنتهم».

«لماذا لم تقل لهم من أنت؟»

«لستُ بهذه الحماقة؛ هذا هو السبب. فلو علموا أنني أقدر أن أتكلّم، لجعلوني فرجةً في الأسواق والمعارض وشدّدوا عليّ الحراسة أكثر من ذي قبل. وهكذا تضيع آخر فرصة لي بالهرب».

وبدا شصطي يقول: «ولماذا...» ولكنّ الحصان قاطعه قائلاً:

«والآن انتبه! علينا ألا نُضَيِّع وقتنا في الأسئلة الباطلة. أتريد أن تعرف حقيقة سيّدي الطرقات أنرادين؟ طيّب، إنّه رديء. لا يقسو عليّ كثيراً، لأنّ الحصان الحربيّ ثمّنه أعلى من أن يُساء إليه. ولكنّ أفضلُ لك أن تموت الليلة من أن تصير عبداً في بيته غداً».

فقال شصطي وقد شحب وجهه كثيراً: «إذا، خير لي أن أهرب!»

أجابه الحصان: «طبعاً، ولكنّ لماذا لا تهرب معي؟»

فقال: «وهل تنوي أن تهرب أنت أيضاً؟»

أجاب الحصان: «نعم، إن ذهبت معي. هذه هي الفرصة المؤاتية لنا كلينا، فأنت تعرف أنّه إذا هربتُ بلا

راكب فسيقول كلُّ من يراني: 'هوذا حصانٌ شارد، ويلحق بي بأقصى سرعة. ولكن بوجود راكب، تكون لي فرصةٌ للإفلات. فهنا تقدر أنت أن تساعدني. هذا من جهة، ومن جهةٍ أُخرى فأنت لن تقدر أن تهرب إلى مكان بعيد على رجلك هاتين الضعيفتين (وما أسخف أرجل البشر!) بغير أن يمسك بك أحد. ولكنك على ظهري تستطيع أن تسبق أيَّ حصانٍ في هذه البلاد. وهنا أقدر أنا أن أساعدك. على فكرة، أظنُّ أنك تُجيد ركوب الخيل؟»
فقال شصطى: «نعم بالطبع! على الأقل، طالما ركبتُ على الحمار».

«ركبتُ على ماذا؟» كان ردُّ الحصان بمنتهى الاحتقار. (على الأقل هذا ما عناه. فقد جاء ردهً شبيهاً بالصهيل، إذ قال: «ركبتُ على ما-ها-ها-ها-ها؟») (إذ إنَّ الأحصنة الناطقة كثيراً ما تزداد لهجتها شبيهاً بطبع الخيول إذا غضبت.)

ثمَّ أضاف: «بعبارةٍ أُخرى، أنت لا تُجيد الركوب. وهذا عائق. فعلياً أن أعلمك الركوب ونحن منطلقان. وما دمت لا تستطيع الركوب، فهل تستطيع الوقوع؟»
فقال شصطى: «أعتقد أن أيَّ واحد يمكنه الوقوع».

«أعني: هل تقدر أن تسقط ثمَّ تنهض بلا بكاء، وتركب من جديد ثمَّ تسقط من جديد، ومع ذلك لا تخاف من الوقوع؟»

قال شصطى: «سوف... سوف أحاول».

ثمَّ قال الحصان بلهجة أطف: «يا لك من حيوان مسكين صغير! لقد نسيْتُ أنَّك مجردُ مُهر. سنجعل منك راكباً قديراً في الوقت المناسب. أمّا الآن، فعلينا ألاَّ نبدأ قبل أن ينأى هذان الاثنان في الكوخ. إنّما في هذه الأثناء يمكننا أن نرسم خُططنا، إنّ صاحبي الطرقات متوجّه شمالاً إلى المدينة العظيمة، إلى طُشبان بالذات، وإلى بلاط السُلطان...»

فقال شصطى بصوتٍ شبه مخنوق: «تُرى، ألا يجب أن تقول: 'عاش إلى الأبد!؟'»

قال الحصان: «لماذا؟ أنا نارنياني حرّ. فلماذا ينبغي لي أن أتكلّم كلام العبيد والجهّال؟ أنا لا أريد له أن يعيش إلى الأبد، وأعرف أنّه لن يعيش إلى الأبد، سواء أردتُ ذلك له أم لم أريد. ويمكنني أن أرى أنّك أنت أيضاً من الشمال الحرّ. فلا مزيد من هذا الكلام الجنوبي الفارغ بيني وبينك! ولنعدّ إلى خُططنا. فكما قلتُ، إنّ سيّدي البشريّ في طريقه شمالاً إلى طُشبان.»

«أيعني هذا أنّه خيرٌ لنا أن نتوجّه إلى الجنوب؟»

فقال الحصان: «لا أظنّ! فأنت ترى أنّه يعتقد أنّي أحرص وأبله كجميع أحصنته الأخرى. ولو كنتُ كذلك لكنتُ لحظة انحلال رباطي أرجع إلى إسطنبولي وحظيرتي، إلى قصره الذي يبعد مسيرة يومين إلى الجنوب. وهناك سيبحث عني. فلن يحلم أبداً بذهابي إلى الشمال وحدي. وعلى كلّ حال، فقد يحسب أنّ واحداً من أهل

القرية الأخيرة الذين شاهدوه عابراً على ظهري قد لحق به إلى هنا وسرقني».

فقال شصطى: «يا لفرحتي! إذًا، سنذهب إلى الشمال. لطالما تشوّقت للذهاب إلى الشمال!»
قال الحصان: «لا شكّ في ذلك. والسبب هو الدم الذي يسري في عروقتك. فأنا متأكد أنك من أهل الشمال حقاً. ولكنّ أبقِ صوتك منخفضاً. أعتقد أنّهما نائمان الآن». فاقترح شصطى أن يرجع خفيةً ليستطلع الأمر. فقال له الحصان:

«فكرة جيّدة! ولكنّ حذار أن يُكشّف أمرُك!»

آنذاك كان الظلام قد اشتدّ قليلاً، وقد ساد السكون، ما عدا صوت الأمواج على الشاطئ، ذاك الذي لم يكّد شصطى يتنبّه إليه لأنه طالما سمعه ليلاً ونهاراً منذ الحين الذي تعود إليه ذاكرته. وإذا اقترب من الكوخ، وجده مظلماً، فتمعّن من أمام الباب، فلم يسمع حسّاً. ولكنّ لما دار إلى حيث الشبّاك الوحيد، استطاع بعد ثانيةٍ أو ثانيتين أن يسمع الشخير الحشن الذي اعتاد سماعه من الصياد المُسنّ. وسرّه كثيراً أن يفكر أنّه لن يعودَ يسمع ذلك الشخير، إذا سار كلُّ شيء كما يتمنّى. وإذا حبس أنفاسه، وأحسّ بشيءٍ من الأسفِ قلّ كثيراً جدّاً عن سروره، انسلّ مبتعداً على العشب وقصد إسطلب الحمار، وتلمّس طريقه إلى مكانٍ يعرف أن المفتاح مخبئاً فيه، ثمّ فتح الباب وأحضر سرج الحصان ولجامه اللذين كان مُقفلاً عليهما

هناك تلك الليلة. ثمّ انحنى وقبّل خدّ الحمار قائلاً: «أنا
أسف لعدم قدرتنا على أخذك معنا!»
ولمّا رجع إلى الحصان، قال له هذا: «ها أنت هنا أخيراً.
كنت قد بدأت أتساءل عمّا جرى لك».

فأجابه شصطي: «كنتُ أُحْضِرُ عُذَّتِكَ مِنَ الْإِسْطَبْلِ.
فهلّا تقول لي الآن كيف أشدّها عليك!»

ثمّ مضت بضع دقائق وشصطي يعمل بكلّ حذر
لتجنّب الخشخشة، فيما الحصان يقول أشياء مثل «شُدّ
هذا الحزام قليلاً»، أو «ستجد إبزيماً في الأسفل»، أو «عليك
أن تُقَصِّرَ هذين الرِكابين قليلاً بعد». ولمّا انتهى العمل
كله، قال:

«علينا الآن أن نثبّت الزمام في مكانه حفاظاً على
حُسن المنظر، ولكنك لن تستعمله طبعاً. فاربط الرَسَن
بمقدّم السرج واتركه رخواً حتّى أستطيع أن أدير رأسي
كيفما أردت. وتذكّر أنّ عليك ألاّ تلمس رَسَني».
فسأله شصطي: «وما سبب وجوده إذاً؟»

أجابه الحصان: «هو لقيادتي عادةً. ولكن بما أنّني أنوي
توليّ القيادة كلّها في هذه الرحلة، فأرجو منك أن تُبقي
يديك بعيدتين عن الرَسَن. وهناك شيء آخر بعد: لن
أسمح لك بأن تتمسّك بعُرْفِي».

فقال شصطي متوسّلاً: «ولكن، من فضلك، إذا كان
عليّ ألاّ أتمسّك بالزمام أو بعُرْفك، فبماذا أتمسّك إذاً؟»
قال الحصان: «تتمسّك بي بركبتيك. هذا سرُّ ركوب

الخيال ببراعة. فشُدَّ على جسمي بين ركبتيك بأقوى ما
يمكنك. واجلس مستقيماً، مستقيماً مثل لوح خشبي
عموديٍّ، مُبقياً كُوعَيْكَ بلِزق جسمك. وعلى فكرة، ماذا
فعلتَ بالمهمازين؟»

فقال شصطى: «ثَبَّتْهُمَا فِي عَقَبِي قَدَمَيَّ. فَأَنَا أَعْرِفُ
هَذَا تَمَاماً».

«إِذَا، عَلَيْكَ أَنْ تَنْزِعَهُمَا وَتَضَعَهُمَا فِي خُرْجِ السَّرَجِ.
وَقَدْ نَتَمَكَّنْ مِنْ بَيْعَهُمَا حِينَ نَصَلَ إِلَى طَشْبَانَ. أَأَنْتَ
جَاهِزٌ؟ أَعْتَقِدُ الْآنَ أَنَّهُ يُمْكِنُكَ أَنْ تَرْكَبَ».
وبعد محاولة شصطى الأولى غير الناجحة، قال
للحصان لاهثاً: «أُووه! ما أعلى ظهرك!»

فجاء الجواب: «أنا حصان؛ هذا كلُّ شيء. وأيُّ شخص
يمكن أن يحسبني كُدس قشٍّ من طريقة محاولتك
تسلقي! هيا الآن؛ هذا أفضل! والآن اجلس مستقيماً،
وتذكر ما قلته لك عن ركبتيك. إنه أمرٌ مضحك أن أفكر
بأن يقعد على سرجي كيسٌ بطاطا مثلك، بعدما أدَّيتُ
مهامَّ الفروسية وفُزْتُ في سباقات قياسية! على كلِّ حال،
هيا بنا». ثمَّ قهقهه قهقهةً لطيفة.

وبالفعل، انطلق الحصان بالصبيِّ في رحلتها الليلية
بمنتهى الحذر. وفي البداية، مضى جنوبيَّ كوخ الصياد
تماماً إلى النهر الصغير الذي كان ينحدر إلى البحر هناك،
وحرص على أن يُخَلِّفَ في الوحل آثار حوافر واضحة تتَّجه
نحو الجنوب. ولكن ما إن وصل إلى وسط المخاضة، حتَّى

انعطف بعكس تيار النهر وخوَّض إلى أن ابتعدا نحو مئة متر عن كوخ الصياد باتجاه الداخل. ثم اختار جزءاً مؤاتياً من الضفة تكثر فيه الحصى بحيث لا تبقى آثار أقدام، وخرج إلى الجانب الشمالي. وبعد ذلك توغلَّ شمالاً وهو ما يزال يسير سيراً خفيفاً، إلى أن غاب عن الأنظار، في قلب ظلام الليل الصيفي الرمادي، كلُّ ما ألفه شصطي تماماً: الكوخ، والشجرة الوحيدة، وإسطبل الحمار، والخليج الصغير. وبعدما مضى حينٌ وهما يصعدان الجبل، وصلا إلى قمم سلسلة الجبال التي طالما كانت حدود العالم الذي يعرفه شصطي. ولم يكن من قبل يقدر أن يرى شيئاً ممَّا وراءها ما عدا كونها مكشوفة ومكسوة بالعشب. وقد بدت بلا نهاية: بريّة ومنعزلة وطلقة.

إذ ذاك قال الحصان ملاحظاً: «ما أحلى هذا المكان لعدوّة، أليس كذلك؟»
فقال شصطي: «أه، لا تفعل ذلك! ليس الآن. فأنا لا أجد ركوب حصانٍ يعدو، رجاءً يا حصانُ! لا أدري ما اسمك».

أجاب الحصان: «بريهاي - هني - ابريني - هوهاي - هاه».
«لن أتمكّن أبداً من إعادة هذا. فهل أقدر أن أسمّيكَ

بري؟»

«إذا كان هذا أفضل ما تقدر عليه، فأعتقد أنّك تقدر.
وبماذا أناديك أنا؟»

«إسمي شصطي».

+ كيف انطلق شطى في تجواله +

فقال بري: «أحم! هوذا اسمٌ تصعب تهجئته بالحقيقة. ولكن ما قولك الآن في العُدوة؟ فإن كنت لا تعرف، فهي أسهل بكثير من الحَبب، إذ لن تُضطرَّ إلى الارتفاع والهبوط. فشدَّ عليَّ ركبتك وأبقِ عينيك تماماً ناظرتين من بين أُذنيَّ. لا تنظر إلى الأرض. وإن ظننت أنك ستقع فمكِّن إمساكك بي واجلس بطريقة أكثر استقامةً. أنت جاهز؟ فهيا الآن إلى نارنيا والشمال!»

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers